مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2026 المجلد: 09 العدد: 01 ص.ص: 90-116

من العنف الأسري إلى الجريمة: دراسة حالة سوسيولوجية–أنثروبولوجية لأثر الهشاشة الاجتماعية على الصحة النفسية في المجتمع الجزائري

From Domestic Violence to Crime: A Socio-Anthropological Case Study on the Impact of Social Vulnerability on Mental Health in Algerian Society

سايح سويح، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، sayeh.soueh@univ-djelfa.dz

تاريخ إرسال المقال: 09-01-2026 تاريخ قبول المقال: 30-04-2026

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة البنيوية بين العنف الأسري والسلوك الإجرامي داخل المجتمع الجزائري، من خلال مقاربة سوسيولوجية–أنثروبولوجية تربط بين تحولات البنية العائلية، الهشاشة الاجتماعية، وتأثيرها المباشر على الصحة النفسية.

اعتمدت الدراسة منهج دراسة الحالة النوعي بالاستناد إلى تحليل وثائق ميدانية، وملاحظات إثنوغرافية، ومقابلات شبه موجهة مع حالات مسجلة في أحياء حضرية هشّة بالجزائر، أظهرت النتائج أن العنف الأسري لا ينتج اضطرابات نفسية فحسب، بل يهيّئ في سياقات الهشاشة والتحضر غير المتوازن لمسار تصاعدي ينتقل فيه الطفل من متلقٍ للعنف إلى فاعل للانحراف، ثم إلى مرتكب لجريمة، خاصة في غياب التدخل المؤسسي والدعم النفسي. يخلص البحث إلى أن الجريمة ظاهرة بنيوية مركبة، ويقدّم مجموعة من التوصيات العملية على مستويات الأسرة، المدرسة، الحيّ، وسياسات الصحة النفسية.

الكلمات المفتاحية: العنف الأسري، الهشاشة الاجتماعية، الصحة النفسية، الجريمة، دراسة الحالة، المجتمع الجزائري.

Abstract: This study examines the structural relationship between domestic violence and criminal behavior in Algerian society through a socio-anthropological approach linking family transformations, social vulnerability, and mental health impacts.

The research adopts a qualitative case study methodology, relying on field documentation, ethnographic observation, and semi-structured interviews with cases recorded in vulnerable urban neighborhoods. Findings reveal that domestic violence not only generates psychological disorders but also, within fragile socio-urban contexts, creates an escalating trajectory where children transition from victims of violence to deviant actors, and eventually to criminal offenders, particularly in the absence of institutional intervention and psychological support. The study concludes that crime is a complex structural phenomenon and provides practical recommendations at the family, school, neighborhood, and mental health policy levels.

Key words : Domestic violence, Social vulnerability, Mental health, Crime, Case study, Algerian society.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2026 المجلد: 09 العدد: 01 ص.ص: 90-116

مقدمة:

شهد المجتمع الجزائري منذ الاستقلال تحولات اجتماعية وديموغرافية وثقافية عميقة أعادت تشكيل العلاقات داخل الأسرة والمجتمع، وقد أدّى التوسع الحضري غير المتوازن، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة، وتراجع دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى بروز فضاءات اجتماعية هشّة تعاد فيها إنتاج أنماط العنف الرمزي والمادي، في هذا السياق، أصبحت الأسرة الجزائرية—بوصفها أول مؤسسة اجتماعية يتفاعل فيها الطفل—مسرحا للعنف بشكليه المباشر وغير المباشر، بما في ذلك العنف النفسي والجسدي والرمزي، مما يترك آثارا عميقة على الصحة النفسية للأفراد.

وانطلاقا من ذلك تسعى هذه الدراسة إلى فهم العلاقة بين العنف الأسري والجريمة، من خلال تحليل دور الصحة النفسية والهشاشة الاجتماعية في هذا المسار.

كما تطرح هذه الدراسة إشكالية مركزية مفادها: إلى أي مدى يسهم العنف الأسري في سياقات اجتماعية هشّة، في توليد سلوكيات منحرفة أو إجرامية عبر تأثيره على الصحة النفسية للأفراد؟

بناء على الأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، وعلى ضوء الإشكالية المطروحة، تسعى الدراسة إلى اختبار مجموعة من الفرضيات التي توضّح العلاقة بين العنف الأسري، الهشاشة الاجتماعية، والصحة النفسية، وصولا إلى الجريمة، وتتمثل هذه الفرضيات فيما يلي:

– العنف الأسري يؤثر سلبا على الصحة النفسية للأفراد، ويعيد إنتاج تمثّلات القوة القائمة على القهر، مما يهيّئ لانحراف سلوكي في مراحل لاحقة.

– الهشاشة الاجتماعية (الفقر، البطالة، انهيار شبكات التضامن) تمثل وسيطا بنيويا يحوّل الاضطرابات النفسية الناتجة عن العنف الأسري إلى سلوكيات إجرامية.

– ضعف مؤسسات الضبط الاجتماعي وغياب التدخل المبكر (تربوي، نفسي، مؤسسي) يسهم في استمرار مسار الانتقال من العنف المنزلي إلى الجريمة.

ولضمان الدقة العلمية والانسجام مع معايير البحث السوسيولوجي–الأنثروبولوجي، اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الكيفي القائم على دراسة الحالة، نظرا لملاءمته تحليل الظواهر الاجتماعية المعقدة التي تتداخل فيها البنى الأسرية، الهشاشة الاجتماعية، والاضطرابات النفسية، يقوم هذا المنهج على الجمع بين التحليل السوسيولوجي البنائي الذي يفسر العنف في سياق البنى الاجتماعية، والوصف الأنثروبولوجي التفسيري الذي يركز على الممارسات الرمزية والثقافية داخل الأسر والمجتمعات الهشّة.

أما أدوات جمع البيانات فقد تنوعت بين المقابلات شبه الموجهة مع حالات اجتماعية مسجّلة، والملاحظة الإثنوغرافية المباشرة في الأحياء الحضرية الهشّة، إضافة إلى تحليل الوثائق والسجلات الاجتماعية والنفسية المتاحة، وتحليل الخطاب والممارسات الرمزية داخل الأسر، هذا التنوع في الأدوات سمح بتكوين صورة مركّبة عن كيفية انتقال العنف من المجال الخاص إلى المجال العام.

كما تم تحديد الإطار المكاني في الأحياء السكنية العشوائية والمناطق الحضرية المهمّشة في ولايات جزائرية متعددة، وهي فضاءات تظهر بوضوح مظاهر الهشاشة العمرانية والاجتماعية، أما الإطار الزماني فقد امتدت فترة جمع البيانات وتحليلها من 2015 إلى أواخر 2025، وهي فترة تزامنت مع تحولات ديموغرافية واضحة وتزايد مؤشرات الانحراف الجانحي في هذه الفضاءات.

- حدود الدراسة:

رغم الدقة المنهجية التي راعتها هذه الدراسة، إلا أنها لا تخلو من حدود معرفية وإجرائية ينبغي الإفصاح عنها تعزيزا للشفافية العلمية:

أولا: اعتمد البحث منهج دراسة الحالة النوعي على عينة مركّبة من أربع عشرة حالة، وهو ما يجعل النتائج تفسيرية وسياقية في جوهرها، ولا تهدف إلى التعميم الإحصائي على عموم المجتمع الجزائري، بل إلى تقديم قراءة معمّقة لآليات انتقال العنف داخل فضاءات الهشاشة الحضرية المحددة.

ثانيا: ترتبط طبيعة الظاهرة المدروسة (العنف الأسري) بحساسية أخلاقية واجتماعية عالية، مما قد يؤثّر على دقة بعض الروايات الذاتية بسبب الخوف من الوصم، أو الرغبة في تقديم صورة أسرية مقبولة، وقد تمّ التخفيف من هذا الأثر عبر اعتماد التثليث المنهجي (المقابلات، الملاحظة الإثنوغرافية، تحليل السجلات) وضمان السرية التامة للمشاركين.

وأخيرا يستند جزء من التحليل إلى استرجاع المشاركين لتجارب الطفولة والمراهقة، مما يحمل درجة من الذاتية الزمنية، غير أنّ ذلك ضُبط بمقارنة الروايات الشفوية مع الوثائق والسجلات المتاحة. وعلى الرغم من هذه الحدود، تظل المقاربة النوعية أداة تحليلية ضرورية لفكّ تعقيدات الظاهرة وتجاوز التفسيرات الفردانية للجريمة، مما يهيّئ الأرضية لدراسات كمية أو طولية مستقبلية لتكملة هذه الرؤى.

تحقيقا لأهداف هذه الدراسة التي تسعى إلى استكشاف مدى إسهام العنف الأسري في سياقات اجتماعية هشّة في توليد سلوكيات منحرفة قد تتطور إلى سلوكيات إجرامية، عبر تأثيره على الصحة النفسية للأفراد، تم الاعتماد على رصيد معرفي متنوع من القراءات الجامعية والأدبيات الأكاديمية

المتخصصة. وقد شمل ذلك مراجعة نقدية للأعمال السوسيولوجية والأنثروبولوجية ذات الصلة، بما أتاح بناء إطار نظري متكامل يساعد على تفسير الظاهرة في أبعادها البنيوية والنفسية والثقافية.

وفي هذا السياق، استندت هذه الدراسة إلى مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت، بشكل مباشر أو غير مباشر، العلاقة بين العنف الأسري، والهشاشة الاجتماعية، والصحة النفسية، ومسارات الانحراف والجريمة. وقد أسهمت هذه الدراسات في توفير أرضية علمية مرجعية، مكّنت من تأطير إشكالية الدراسة، وتوجيه الفرضيات، كما ساعدت في تحليل النتائج ومناقشتها في ضوء ما توصلت إليه الأدبيات السابقة. غير أن هذه الأدبيات—رغم أهميتها—لم تعالج بشكل تكاملي العلاقة الديناميكية بين العنف الأسري والصحة النفسية كآلية وسيطة في الانتقال التدريجي من الانحراف إلى الجريمة، خاصة في السياق الجزائري المعاصر، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته وإبراز خصوصيته.

➢ ومن الدراسات السابقة:

– دراسة لويك واكوان (2008) بعنوان منبوذو المدن: سوسيولوجيا الهامشية المتقدمة، هدفت إلى تحليل أثر التهميش الحضري والفقر البنيوي على إنتاج أنماط العنف والجريمة داخل الأحياء الفقيرة في أوروبا وأمريكا. خلصت الدراسة إلى أن البيئات الهشّة تُعيد إنتاج العنف بشكل بنيوي نتيجة غياب مؤسسات الضبط الاجتماعي وتفكك الروابط المجتمعية، مما يجعلها فضاءات حاضنة للجريمة والانحراف.

– دراسة غزوان أنس عباس (2015) بعنوان العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية، ركزت على مدى تعرض الأطفال للعنف داخل الأسرة وصوره المختلفة (الجسدي، النفسي، اللفظي، الإهمال)، وأبرزت انعكاساته على شخصية الطفل. خلصت الدراسة إلى وجود علاقة معنوية بين المستوى الاقتصادي للأسرة والتحصيل الدراسي للوالدين وبين درجة تعرض الطفل للعنف، مؤكدة أن العنف الأسري يترك آثارًا نفسية واجتماعية طويلة الأمد.

– دراسة عدي الهواري (2002) الموسومة تحولات المجتمع الجزائري، تناولت التغيرات البنيوية التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، خاصة تفكك الروابط التقليدية وصعود أنماط جديدة من الهشاشة الاجتماعية، وأبرزت أن هذه التحولات أسهمت في بروز أنماط من العنف داخل الأسرة والمجتمع نتيجة التوتر بين القيم التقليدية والحديثة، مما يفسر جانبا من انتشار السلوكيات المنحرفة.

– دراسة حلمي دريدش (2018) بعنوان دراسة سوسيولوجية لبنية المجتمع الجزائري وأثرها على انتشار العنف، قدّمت عرضًا نظريا للتغيرات التي طرأت على بنية المجتمع الجزائري، وربطت هذه التحولات

بانتشار ظاهرة العنف. كما استعرضت مختلف التفسيرات السوسيولوجية والبيولوجية والسيكولوجية للعنف، لتكون أرضية نظرية ينطلق منها الباحثون نحو دراسات ميدانية أكثر عمقا.

ورغم أهمية هذه الدراسات في تفسير جوانب متعددة من الظاهرة، فإنها لم تعالج بشكل تكاملي العلاقة الديناميكية بين العنف الأسري والصحة النفسية كآلية وسيطة في الانتقال التدريجي من السلوك المنحرف إلى السلوك الإجرامي، خاصة في السياق الجزائري المعاصر، وهنا تكمن خصوصية هذه الدراسة التي تسعى إلى سدّ هذه الفجوة عبر مقاربة سوسيولوجية–أنثروبولوجية قائمة على دراسة الحالة، تدمج بين التحليل البنيوي للعنف في سياق الهشاشة الاجتماعية، والوصف الأنثروبولوجي للممارسات الرمزية والثقافية داخل الأسر، بما يتيح فهما أعمق لآليات تحول العنف المنزلي إلى جريمة في المجتمع الجزائري.

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

يتمثل هذا الاطار النظري الذي يمكن من فهم العلاقة بين العنف الأسري والجريمة داخل السياق الاجتماعي الجزائري، بالاستناد إلى الأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية المعاصرة، ويجمع بين التحليل البنيوي، وتفسير انتقال العنف من المجال الخاص إلى المجال العام، وفهم كيف تتفاعل البنية الاجتماعية الهشّة مع المتغيرات النفسية لإنتاج سلوك إجرامي في بعض الحالات.

يتمثل هذا الاطار النظري الذي يمكن من فهم العلاقة بين العنف الأسري والجريمة داخل السياق الاجتماعي الجزائري، بالاستناد إلى الأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية المعاصرة، ويجمع بين التحليل البنيوي، وتفسير انتقال العنف من المجال الخاص إلى المجال العام، وفهم كيف تتفاعل البنية الاجتماعية الهشّة مع المتغيرات النفسية لإنتاج سلوك إجرامي في بعض الحالات.

المطلب الأول: مفهوم العنف الأسري: تحديدات سوسيولوجية

يعرّف العنف الأسري بوصفه ممارسة قهرية متكررة داخل النسق العائلي، تتخذ أشكالا جسدية ونفسية ورمزية، وتشرعن ثقافيا داخل البنى الأبوي[1].

ويعتبر العنف الأسري في السياق الجزائري أكثر من كونه فعلا فرديا فهو نتاج بنية سلطوية أبوية ماتزال تتحكم في أنماط التفاعل داخل الأسرة بما في ذلك:

[1] Straus, Murray A., and Richard J. Gelles. **Physical Violence in American Families: Risk Factors and Adaptations to Violence in 8,145 Families.** First edition. Routledge, Taylor & Francis Group, London and New York, 1990, pp 34–36.

• السيطرة الذكورية.
• إعادة إنتاج الهيمنة.
• تبرير العنف كأداة للتنشئة.
• تحويل القيم الثقافية إلى أدوات ضبط قسري.

هذه البنية تجعل العنف جزءا "طبيعيا" من الممارسات اليومية داخل بعض البيوت، مما يسمح بمرور تجارب مؤذية خلال الطفولة قد تتحول لاحقا إلى اضطرابات في السلوك أو اضطرابات نفسية حادة.

حالة اجتماعية رقم 1 (ن.س): طفل نشأ في بيئة تتكرر فيها الاعتداءات اللفظية والضرب والتهديد، مما عزز لديه تمثلات القوة القائمة على العنف، وجعله يرى أن " السيطرة " لا تتحقق إلا من خلال القهر، هذا النموذج وثّقته عدة دراسات ميدانية في مدن جزائرية كبرى، خصوصا تلك التي تعاني من هشاشة عمرانية واجتماعية.

المطلب الثاني: السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا العائلية: مقاربة لفهم البنية المنتجة للعنف

تظهر المقاربات الأنثروبولوجية أنّ الأسرة الجزائرية ما زالت تحمل ملامح "العائلة التقليدية"، رغم التمدن والتعليم، حيث تبقى سلطة الأب حاضرة بقوة في القرار والتوجيه، بينما يتوقع من الأم الامتثال للواجبات الأسرية دون اعتراض حيث يشتغل العنف الرمزي داخل الأسرة عبر آليات غير مرئية، تجعل الهيمنة مقبولة وطبيعية في وعي الخاضعين لها[1].

هذه البنية تستمر في إنتاج ثلاث آليات رئيسية:

أ. العنف الرمزي الذي يمارس عبر:

• التحقير
• السخرية
• التمييز بين الأبناء
• تبرير المرؤوسية

العنف الرمزي غالبا غير ظاهر، لكنه الأخطر لأنه يشكّل شخصية الطفل دون وعيه.

ب. العنف التأديبي الذي يبرَّر تربويا (ضرب من أجل التربية)، لكنه ينتج:

[1] Bourdieu, Pierre. **Language and Symbolic Power**. Translated by Gino Raymond and Matthew Adamson, edited and introduced by John B. Thompson. First edition. Harvard University Press, Cambridge, MA, 1991, pp 51.

• خوفا دائما
• تدهورا في تقدير الذات
• ميولا عدوانية خفية

ج. العنف البنيوي وهو الناتج عن فقر الأسرة، حرمانها، ضغوطها المعيشية، غياب الدعم المؤسساتي... هذا النوع من العنف ينعكس على العلاقات الداخلية، ويجعل أفراد الأسرة يتصرفون تحت ضغط دائم.

المطلب الثالث: مفهوم الصحة النفسية داخل الأسر الهشّة

تقرّر منظمة الصحة العالمية أن الصحة النفسية ليست مجرد غياب المرض، بل القدرة على التكيف، وإدارة الضغوط، وإقامة علاقات صحية[1].

لكن داخل الأسر الهشّة، تتعرض الصحة النفسية لثلاثة تهديدات:

– **الصدمات المبكر**: تجارب مثل: مشاهدة العنف، التعرض للإيذاء، الإهمال، قد تتحول إلى اضطرابات سلوكية لاحقة.

– **غياب الدعم العاطفي**: الأطفال الذين لا يجدون دعما أو إصغاء يصبحون أكثر عرضة للغضب، العزلة، عدم الثقة، والعدوانية.

– **ضعف الحماية الاجتماعية**: ويتمثل في غياب: خدمات الصحة النفسية، المتابعة المدرسية، التدخل الاجتماعي، مما يجعل الطفل معرضا لإعادة إنتاج العنف خارجيا.

المطلب الرابع: الهشاشة الاجتماعية: المفهوم والمحددات

الهشاشة الاجتماعية مفهوم يحيل إلى الضعف البنيوي الذي يصيب الأفراد والجماعات نتيجة التفاوت الاقتصادي والحرمان الثقافي والافتقار إلى شبكات الدعم[2]، في الجزائر، ترتبط الهشاشة بـ: الأحياء الفقيرة، السكن غير اللائق، البطالة لدى الشباب، ضعف الخدمات الصحية، انهيار شبكات التضامن التقليدية، كل هذه العوامل تولّد سياقا اجتماعيا يسهّل انتقال العنف من الأسرة إلى المجتمع.

المطلب الخامس: العلاقات السببية بين الأسرة والجريمة: تفسير نظري

لقد حاولت عدة نظريات سوسيولوجية تفسير العلاقة بين الأسرة والجريمة، ويمكن إبراز أهمها كما يلي:

[1] World Health Organization. **Mental Health: Strengthening Our Response**. WHO Press, Geneva, Switzerland, 2022, pp 4-3.
[2] Castel, Robert. **From Manual Workers to Wage Laborers**: Transformation of the Social Question. Transaction Publishers, New Brunswick, NJ, 2003, pp 15.

أولًا: منظور دوركهايم – اللاتماسك الاجتماعي(Anomie)

يرى دوركهايم أن انهيار القيم والتضامن يؤدي إلى ظهور سلوكيات منحرفة[1]، ففي الأسر الهشّة، تتفكك القواعد والروابط القيمية والرقابة الاجتماعية ويغيب الضبط، مما يجعل الطفل يعيش في "فراغ قيمي" يخلق له فراغا معياريا مما يسهّل له عملية الانحراف.

ثانيا: نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا

تؤكد أن العنف سلوك مكتسب عبر الآليات التالية: الملاحظة والتقليد والتجربة داخل السياق الأسري، فعندما يرى الطفل أن العنف هو اللغة السائدة في البيت، فإنه "يتعلم" استخدامه لاحقا، وقد يتحول ذلك إلى سلوك إجرامي، وبهذا يتم إعادة إنتاجه في المجال العام[2].

ثالثا: نظرية الضغط الاجتماعي لميرتون(Strain Theory)

ترى أن الجريمة تحدث عندما يتعرض الفرد لضغوط اجتماعية لا يستطيع تفريغها عبر وسائل شرعية[3]، وفي الأحياء الهشّة حيث تكثر الضغوط ويقل الأمل، يصبح العنف وسيلة للتعبير عن الاحباط.

رابعا: نظرية الوصم (Becker):

تبرز أن الفرد قد يتحول من منحرف إلى مجرم بفعل التصنيف الاجتماعي والوصم الذي يلاحقه، حيث يعاد إنتاج الهوية المنحرفة داخل الأسرة والمجتمع، مما يعزز مسار الجريمة، وتقوم نظرية الوصم على فرضيتين أساسيتين هما:

– أن الانحراف لا يقوم على نوعية الفعل وماهيته بقدر ما يقوم على نتيجة ما يوصف به الفاعل من قبل المجتمع.

– أن الانحراف عملية اجتماعية تقوم بين طرفين: الفعل الانحرافي، وردة فعل المجتمع تجاه ذلك الفعل الانحرافي ووصمه بالانحراف من جانب آخر[4].

---

[1] Durkheim, Émile. **Suicide: A Study in Sociology**. Translated by John A. Spaulding and George Simpson, edited with an introduction by George Simpson. First English edition 1952. Routledge & Kegan Paul Ltd, London and New York, 1952, pp 246–248.

[2] Bandura, Albert. **Social Learning Theory**. First edition. Prentice Hall, Englewood Cliffs, N.J., 1977, pp 22–28.

[3] Merton, Robert K. **Social Structure and Anomie**. American Sociological Review, Vol. 3, No. 5, American Sociological Association, Washington, DC, USA, October 1938 , pp 672–682.

[4] أحمد فريجة، ابراهيم هياق، **النظريات المفسرة للسلوك الإنحرافي والإجرامي – رؤية اجتماعية**، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، المجلد 12، العدد 2، 2019، ص 125.

رغم أن هذه النظريات تقدم تفسيرات مهمة للعلاقة بين الأسرة والجريمة، إلا أنها لم تدمج بشكل تكاملي لتوضيح دور الصحة النفسية كآلية وسيطة في الانتقال التدريجي من العنف الأسري إلى الجريمة، خاصة في السياق الجزائري المعاصر، وهنا تكمن خصوصية هذه الدراسة، التي تسعى إلى سدّ هذه الفجوة عبر مقاربة سوسيولوجية–أنثروبولوجية ميدانية تدمج بين التحليل البنيوي للعنف والهشاشة الاجتماعية، والوصف الأنثروبولوجي للممارسات الرمزية والثقافية داخل الأسر.

المطلب السادس: الحالات الاجتماعية: نموذج يفسّر انتقال العنف إلى الجريمة

استنادا إلى الأدبيات، نستعرض نموذجا تفسيريا عاما (غير مرتبط بمنطقة أو حادثة محددة):

حالة اجتماعية رقم2 (ك.ل): طفل نشأ داخل عنف متكرر: تعرض لضرب وإهانة متواصلة، شاهد صراعات بين الوالدين، انعدام الحماية النفسية.

النتيجة: اضطراب في العلاقات، ميل إلى العدوانية، وظهور سلوكيات معادية للمجتمع.

حالة اجتماعية رقم3 (ن.خ): وجود الشعوذة داخل المنزل: طقوس غامضة، خوف دائم، رموز تهديدية (مثل الأدوات المستخدمة في الطقوس)

النتيجة: صار الطفل يدمج "العنف والخوف والسحر" داخل صورة واحدة عن السلطة والقوة، ما قد ينعكس لاحقا على سلوكياته داخل الأسرة والمجتمع.

حالة اجتماعية رقم4 (ج.ع): يسكن في حيّ هش، فقر، غياب الرقابة: اختلاطه مع المنحرفين، التوجه نحو الانحراف، انتشار الجريمة الصغيرة، ضعف الخدمات.

النتيجة: غالبا ما يتحول العنف المكتسب في المنزل إلى عنف تجاه الآخرين.

تكشف الأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية أن العنف الأسري ليس حالة فردية، بل بنية اجتماعية تتجذر داخل الأسرة الجزائرية، خصوصا في السياقات الهشّة. هذا العنف يعيد تشكيل الصحة النفسية للأطفال، ويهيئ بعضهم—في ظروف معينة—لارتكاب سلوكيات عنيفة أو إجرامية، في انسجام مع مفهوم "العنف المنتج للعنف".

المبحث الثاني: تحوّلات المجتمع الجزائري ودورها في إنتاج العنف (مقاربة سوسيولوجية في بنى الهشاشة والتحولات الثقافية)

يمثّل هذا الجزء محاولة لفهم السياق الاجتماعي العام الذي تتشكّل داخله ظواهر العنف الأسري والجريمة، عبر تحليل التحولات البنيوية التي عاشها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال، وما نتج عنها من هشاشة اجتماعية، وتصدّع في منظومات الضبط، وتوتر في القيم، وانحراف في مسارات التنشئة العائلية.

المطلب الأول: التحوّل الديموغرافي والحضري: فضاءات جديدة للعنف

عرفت الجزائر منذ الستينيات توسعا حضريا سريعا وغير متوازن (بناء عشوائي داخل المدن، أحياء فوضوية..)، رافقه نمو ديموغرافي مرتفع، ما أدى إلى نشوء أحياء مكتظّة وغير مجهّزة، تشكّل اليوم أحد أهم "الفضاءات الحاضنة للعنف"[1].

ونتج عن هذا التحول:

- **تكدّس سكاني** يؤدي إلى صراعات يومية وتفاعلات عنيفة.
- **غياب البنية الحضرية المنظّمة** (مساحات خضراء، هياكل اجتماعية).
- **ضعف شبكات الجوار التقليدية** التي كانت تضمن الرقابة الاجتماعية.
- **ظهور الأحياء المعزولة** التي تشهد مستويات أعلى من الانحراف.

حالة اجتماعية رقم5 أسرة (ط.ل): أسرة تنتقل من قرية متماسكة إلى حي حضري كبير، تفقد الأسرة شبكة القرابة، وتتقلص الرقابة الاجتماعية، ويتعرض الأطفال لاحتكاك مستمر بأنماط سلوكية متناقضة: تقاليد ريفية داخل البيت، وسلوكيات حضرية خشنة خارجه، هذه الازدواجية تخلق هشاشة في السلوك قد تتطور إلى انحراف أو عدوانية.

المطلب الثاني: تفكك منظومة القيم بين التقليد والحداثة

يشير عدي الهواري إلى أنّ المجتمع الجزائري يعيش في حالة "تماس" بين نموذجين قيميَّين:

- **نموذج تقليدي** يعتمد على الطاعة، القرابة، العنف التأديبي.
- **نموذج حديث** يقوم على القانون، الفردانية، والتربية العقلانية[2].

انعكاسات ذلك:

[1] عدي الهواري، **تحولات المجتمع الجزائري، العائلة والرابط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة**، ترجمة: ميلود طواهري، منشورات لاديكوفرت، باريس، 2002، ص ص 13–17.

[2] نفس المرجع السابق، ص ص 18–25.

- **ازدواجية تربوية** :الأب تقليدي، المدرسة حديثة.
- **صراعات هوية** لدى المراهقين.
- **تراجع سلطة القيم الموحِّدة.**
- **ظهور توتر داخل الأسرة** تجاه مفهوم السلطة.

حالة اجتماعية رقم6 (ب.م): مراهق يعيش في أسرة محافظة، يتعرض للضرب المنزلي باعتباره "وسيلة تربية"، بينما يتعلم في المدرسة مفهوم حقوق الطفل، هذه الازدواجية تنتج انفصاما في التمثلات، وقد تولّد سلوكا عدوانيا داخليا أو خارجيا.

المطلب الثالث: استمرار الممارسات غير العقلانية والشعوذة في الأحياء الهشّة

تظهر الأدبيات الأنثروبولوجية أن انتشار الشعوذة ليس "انحرافا ثقافيا"، بل آلية دفاعية تستخدمها الفئات الهشّة لمواجهة الضغوط النفسية والاجتماعية[1].

وفي الجزائر، تشكّل الشعوذة في بعض البيوت: مرجعا لفهم المرض، وسيلة لحل النزاعات الزوجية، إطارا لتفسير سوء الحظ، نظاما للضبط الرمزي داخل الأسرة.

انعكاساتها على الأطفال:

- الخوف المستمر من "القوى الغيبية."
- الربط بين العنف والسلطة الطقوسية.
- اضطرابات القلق والكوابيس.
- تشوّه في مفهوم "القوة" و"الحماية."

حالة اجتماعية رقم7 (هـ.م): طفل يعيش في بيت تمارس فيه الأم طقوس الشعوذة ويستخدم فيه "الهاون"، "البخور"، "الرقعة"، ينشأ الطفل في بيئة تدمج بين الخوف من الأمّ ومن الطقوس، فيربط القوة بالعنف الطقوسي، وهو ما قد يؤثر لاحقا على سلوكه العدواني.

المطلب الرابع: ضعف مؤسسات الضبط الاجتماعي

تعد الأسرة والمدرسة والحي والدولة "مؤسسات ضبط" تنظّم السلوك الاجتماعي، لكن التحولات الحديثة أحدثت خللا في أدائها:

[1] Lévi-Strauss, Claude. **Structural Anthropology**. Translated from the French by Claire Jacobson and Brooke Grundfest Schoepf. First English edition. New York: Basic Books, 1963, pp 167–185.

أ. **بالنسبة للأسرة** تعاني من: ضغط اقتصادي، توتر زوجي، أساليب تربوية عنيفة، غياب الحماية النفسية

ب. **بالنسبة للمدرسة** لم تعد قادرة على: معالجة الصدمات، دمج اليافعين، تقويم السلوك العنيف

ج. **بالنسبة للشارع:** أصبح فضاء للعدوانية والتعلم غير الرسمي.

د. **بالنسبة للدولة:** لا توفر خدمات للصحة النفسية بالقدر الكافي.

مما ينتج عنه تراجع الضبط الاجتماعي يخلق فراغا قيميا يجعل الأطفال والمراهقين أكثر استعدادا للانخراط في سلوكيات عنيفة.

المطلب الخامس: تآكل التضامن الاجتماعي وتوسع الفردانية السلبية

يرى دوركهايم أنّ تآكل التضامن المجتمعي يقود إلى حالة " اللاتماسك الاجتماعي"[1].

في الجزائر، أدى التحضر السريع إلى تراجع: التضامن الجيراني، العائلة الممتدة، روابط القرابة، آليات التدخل الاجتماعي.

نتيجة لذلك يصبح العنف داخل الأسرة غير مرئي، وغير مبلّغ عنه، مما يسمح باستمراره عبر الأجيال.

حالة اجتماعية رقم8 أسرة(ج.ط): أسرة تعيش في عمارة كبيرة، لا يعرف الجيران بعضهم، يسمع الأطفال صراخ الأم ولطم الأب (الشجار الدائم) لكن لا أحد يتدخل، هذا "الصمت الاجتماعي" يعزز استمرار العنف ويطبع سلوك الأطفال.

المطلب السادس: الأحياء الهشّة بوصفها بؤرا لإعادة إنتاج العنف

تصف الأدبيات السوسيولوجية الأحياء الفقيرة بأنها "مجالات منتجة للانحراف" لأنّها تجمع: الفقر، البطالة، الاكتظاظ، انهيار القيم، غياب الرقابة، انتشار العنف

ويشير باحثون مثل Castel (2003) إلى أن الهشاشة الاجتماعية تولّد "حياة محفوفة بالخطر"، حيث يتعلّم الأطفال العدوانية باعتبارها وسيلة للبقاء[2].

[1] Durkheim, Émile. **Suicide: A Study in Sociology**, op. cit, p 249.

[2] Castel, Robert. **From Manual Workers to Wage Laborers**: Transformation of the Social Question. Translated from the French by Richard Boyd. First English edition. New Brunswick, NJ: Transaction Publishers, 2003, pp 85–92.

حالة اجتماعية رقم9 (س.ب): طفل يشاهد يوميا شجارات بين الجيران، عنفا في الشارع، وتهديدات بالسلاح الأبيض، تشكلت لديه قناعة أن "العنف يفرض الاحترام" عند مناقشته، هذا ما يجعل السلوك العدواني خيارا متوقعا.

يكشف تحليل تحولات المجتمع الجزائري أنّ العنف الأسري لا يمكن فصله عن البيئة الاجتماعية الأوسع، فالهشاشة البنيوية، والتوسع الحضري غير المنظّم، وتراجع آليات الضبط، واستمرار الممارسات غير العقلانية، كلها عوامل تتفاعل لإنتاج سياق يسمح بانتقال العنف من الأسرة إلى المجتمع.

الحالات الاجتماعية التي تم عرضها للتحليل تظهر كيف يتحول الطفل من متلقّ للعنف داخل البيت إلى فاعل للعنف خارجه، في ظل غياب تامّ للحماية النفسية والاجتماعية.

المبحث الثالث: العنف الأسري كمولّد للاضطرابات النفسية والسلوكية(تحليل سوسيولوجي–أنثروبولوجي لحالات الطفولة في السياقات الهشّة)

تسعى السوسيولوجيا الحديثة إلى فهم الجريمة والعنف من خلال جذورها الأولى داخل الأسرة، بوصفها المؤسسة الأساسية التي تُشكِّل بنية الشخصية، وتحدد نمط التفاعل مع الذات ومع الآخرين.

وفي المجتمع الجزائري، حيث تعيش العديد من الأسر تحت وطأة الضغوط الاقتصادية والثقافية، يصبح العنف الأسري أحد أهم المحدّدات المؤثرة في الصحة النفسية، وفي السلوك الاجتماعي للأفراد.

في هذا الجزء الثالث يقدّم تحليلا للحالات الاجتماعية، ويبيّن كيف يتحول العنف المنزلي في بعض السياقات إلى اضطرابات داخلية قد تتطور لاحقًا إلى سلوك إجرامي.

المطلب الأول: الطفولة القاسية: بنية الصدمة الأولى

تؤكد الأدبيات التي تعتمد على علم نفس الصدمات (Trauma Studies) أن الطفل الذي يعيش تجارب مؤذية في مرحلة الطفولة المبكرة يتعرض لتغيّرات نفسية عميقة تؤثّر على مستقبله الاجتماعي والسلوكي[1].

في السياق الجزائري، تتجلى الطفولة القاسية في ثلاثة أنماط:

أ. **العنف الجسدي المتكرر:** وهو يشمل الضرب، الاعتداء البدني، أو استخدام أدوات حادة في تأديب الطفل، هذا العنف يخلق علاقة مشوّهة مع الجسد باعتباره مجالا للألم والتهديد.

[1] van der Kolk, Bessel A. **The Body Keeps the Score**: Brain, Mind, and Body in the Healing of Trauma. First edition. New York: Viking, 2014, pp 52–67.

ب. العنف النفسي واللفظي: كالإهانة، السخرية، التحطيم المستمر للذات، أو المقارنة السلبية بين الإخوة، ينتج عنه شعور بالدونية والقلق وعدم الثقة بالنفس.

ج. العنف الرمزي: وهو الأكثر شيوعا في الثقافة الأسرية الجزائرية:التهديد، التحقير، فرض الطاعة العمياء، حرمان الطفل من التعبير.

حالة اجتماعية رقم10 (ح.ق): طفل يبلغ من العمر 9 سنوات يتعرض للضرب اليومي بسبب نتائج مدرسية ضعيفة، يعيش في صمت خوفا من الأب، هذا الطفل يظهر لاحقا ميولا عدوانية تجاه زملائه في المدرسة، ثم يتحوّل إلى عدم احترام السلطة التربوية.

المطلب الثاني: اضطرابات التكيف والسلوك لدى ضحايا العنف الأسري

تظهر الدراسات السوسيولوجية والنفسية أن العنف الأسري يؤثّر في مهارات التكيف، ويقود إلى أنماط غير صحية في مواجهة الضغوط.

وبحسب نظرية " التكيف غير التوافقي"(Maladaptive Coping)، غالبا ما يظهر على الأطفال الذين تعرضوا للعنف ما يلي[1]:

أ. القلق والخوف المزمن: يعيش الطفل في حالة يقظة مفرطة (Hypervigilance)، ما يجعله حساسا لأي تهديد خارجي.

ب. الانسحاب الاجتماعي: يفقد الطفل القدرة على بناء علاقات سوية، ويصبح منعزلا.

ج. العدوانية: يترجم الطفل العنف الذي شاهده إلى سلوك دفاعي هجومي.

د. صعوبات التعلم والتركيز: تؤدي الصدمات إلى ضعف المهارات التنفيذية والذاكرة والانتباه.

حالة اجتماعية رقم11 (د.ق): مراهق في 15 سنة من أسرة فقيرة، يترك المدرسة بسبب تعرضه المتكرر للسخرية من الأب، ينخرط بعدها في مجموعة شبابية عنيفة في الحي،. يعبر عن غضبه من خلال سلوكيات عدوانية، ويجد "الانتماء" لأول مرة داخل هذه المجموعة.

المطلب الثالث: العنف الأسري والصحة النفسية: نموذج تفسير سوسيولوجي

تعتبر الصحة النفسية جزءا أساسيا من قدرة الفرد على التفاعل الاجتماعي بصورة سليمة، لكن العنف الأسري، خصوصًا في بيئات فقيرة ومهمَّشة، يخلق " دائرة من الألم النفسي" تتجلى في:

أ. اضطرابات المزاج: مثل الاكتئاب، القلق، غضب مكبوت، ميل إلى التشاؤم

[1] Compas, Bruce E., et al. "**Coping, Emotion Regulation, and Psychopathology in Childhood and Adolescence**: A Meta-Analysis and Narrative Review." Annual Review of Clinical Psychology, Vol. 13. Annual Reviews, Palo Alto, CA, 2017, pp 135–159.

ب. اضطرابات التعلق: الطفل الذي يفقد الإحساس بالأمان مع الأم أو الأب يطوّر نمط تعلق قلق أو تجنّبي.

ج. اضطرابات ما بعد الصدمة: خصوصا عندما يكون العنف شديدا أو متكررا.

حالة اجتماعية رقم12(ك.س): طفلة تعيش في أسرة تشهد صراعات عنيفة بين الوالدين. تعاني من كوابيس، التبول اللاإرادي، تراجع دراسي، وخوف من النوم وحدها، في المراهقة، تتحول هذه الأعراض إلى نوبات غضب وانعزال.

المطلب الرابع: العلاقة بين العنف الأسري والسلوك الإجرامي

تثبت نظرية باندورا Bandura (1977) أن العنف سلوك متعلّم، وعندما ينشأ الطفل في بيئة تمارس فيها القوة بدل الحوار، يصبح العنف "لغة اجتماعية"[1].

وتؤكد نظرية التعلّم الاجتماعي عند باندورا أن العنف سلوك مكتسب عبر النمذجة داخل السياق الأسري، حيث تتحول القوة إلى لغة اجتماعية عندما تستعمل بدل الحوار، كما تشير المقاربة التطورية لموفيت إلى أن بعض الأطفال المعرضين للعنف الشديد يطوّرون مسارًا إجراميًا مستمرًا يبدأ في الطفولة ويمتد إلى المراهقة والرشد[2].

كيف يحدث هذا التحول؟ وذلك ب: أ- التعلم بالملاحظة: الطفل يرى أن الأب يمارس السيطرة عبر العنف ← يكتسب النموذج.

ب- صدمة الطفولة: تنتج اضطرابات نفسية ← تضعف القدرة على ضبط السلوك.

ج- الضغط الاجتماعي: الحي الهش يوفر "فرصا" للانخراط في مجموعات منحرفة.

د- غياب التدخل المبكر: لا توجد متابعة نفسية أو اجتماعية ← يستمر المسار.

حالة اجتماعية رقم13(ع.ج): شاب في 18 سنة ذو تاريخ طويل من التعرض للعنف المنزلي حسب روايته فهو يعاني من فقدان التعاطف (Lack of empathy)، ويقوم بالاعتداء على الآخرين في الحي انتهى به الأمر في سلوكيات إجرامية بسيطة ثم خطيرة.

[1] Bandura, Albert. Social Learning Theory. First edition. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1977, pp 22–36.

[2] Moffitt, Terrie E. "**Adolescence-Limited and Life-Course-Persistent Antisocial Behavior**: A Developmental Taxonomy." Developmental Psychology, vol. 29, no. 4. Washington, DC: American Psychological Association, 1993, pp 674–701.

من خلال تحليل هذه الحالة نجد أن الشاب البالغ من العمر 18 سنة عاش طفولة مطبوعة بالعنف المنزلي، حيث كان يتعرض بشكل متكرر للاعتداء داخل الأسرة. هذا التعرض المستمر جعله يطبع العنف كوسيلة طبيعية للتعامل مع الآخرين، وأدى إلى فقدانه القدرة على التعاطف مع المحيطين به.

– المرحلة الأولى (التمثيل والتطبيع): داخل الأسرة، تلقّن أن القوة والعنف هما اللغة السائدة، فصار ينظر إلى الاعتداء كأداة مشروعة للضبط والتفاوض.

– المرحلة الثانية (الانحراف الجانحي): مع تراكم الاضطرابات النفسية مثل القلق والغضب المكبوت وضعف التعلق، وغياب أي دعم مؤسسي أو تربوي، بدأ يمارس سلوكيات منحرفة بسيطة كالعنف المدرسي والاعتداء على أقرانه في الحي. هذه الأفعال كانت بمثابة تفريغ للضغط النفسي الذي يعيشه.

– المرحلة الثالثة (الإجرام الفعلي): البيئة الحضرية الهشّة التي يعيش فيها—حيث تغيب الرقابة وتنتشر البطالة وتتشكل شبكات غير رسمية عنيفة—وفرت له فضاء يمنح هذه السلوكيات "شرعية مكانية" و"مكاسب رمزية"، مما جعله ينتقل تدريجيًا من الانحراف البسيط إلى سلوكيات إجرامية أكثر خطورة.

ومنه فإن الحالة (ع.ج) تظهر أن الانتقال من العنف الأسري إلى الجريمة ليس حدثا مفاجئا، بل مسار تدريجي يبدأ بالتطبيع مع العنف داخل الأسرة، ثم يتطور إلى انحراف جانحي في مرحلة المراهقة، لينتهي إلى الإجرام الفعلي عندما تتضافر العوامل النفسية والاجتماعية والبيئية، هذا التحليل يبرز بوضوح كيف أن الصحة النفسية المتأثرة بالعنف الأسري والهشاشة الاجتماعية تعمل كآلية وسيطة في إنتاج الجريمة داخل المجتمع الجزائري.

المطلب الخامس: البيئة الهشّة كمسرح لإعادة إنتاج الاضطرابات النفسية

العنف الأسري لا ينتهي عند باب المنزل؛ بل يخرج مع الطفل إلى: المدرسة، الشارع، العلاقات الاجتماعية، العمل مستقبلا.

تؤكد الأدبيات السوسيولوجية–الجنائية أن البيئات الاجتماعية الهشّة، التي تتسم بالفقر، الاكتظاظ، وضعف الضبط الاجتماعي غير الرسمي، تزيد من احتمال تحوّل الاضطرابات النفسية المبكرة إلى سلوكيات خطرة ومسارات إجرامية مستمرة عبر الحياة[1].

حالة اجتماعية رقم14(ط.م): طفل يعيش في حيّ فقير، يشاهد شجارات يومية، يسمع الصراخ، ويرى مشاهد عنف، يتكيف عبر تطوير سلوك عدواني، وتصبح "القوة"" بالنسبة إليه مبدأ البقاء.

[1] Sampson, Robert J., and John H. Laub. **Crime in the Making:** Pathways and Turning Points Through Life. First edition. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993, pp 18–68.

يكشف التحليل أنّ العنف الأسري ليس مجرد فعل مؤذي داخل المنزل، بل هو منظومة نفسية–اجتماعية تعيد تشكيل شخصية الطفل، وتضعه في مسارات اضطرابية قد تتطور إلى انحراف أو سلوك إجرامي.

الحالات الاجتماعية التي تم تحليلها تظهر أن الاضطرابات ليست عرضا، بل جزء من بنية اجتماعية هشّة تتفاعل فيها الأسرة، الفقر، المدرسة، والحي لتشكيل أنماط سلوكية مؤذية للفرد والمجتمع.

المبحث الرابع: من العنف الأسري إلى السلوك الإجرامي (تحليل سوسيولوجي لآليات انتقال العنف في السياقات الحضرية الهشّة)

يمثّل هذا الجزء محاولة لفهم الكيفية التي يتحوّل بها العنف المنزلي إلى سلوكيات إجرامية في الحيّ والشارع، عبر سلسلة من العمليات النفسية والاجتماعية التي تتفاعل فيها الأسرة، البيئة الحضرية، شبكات العلاقات الاجتماعية، وأنماط الضبط الاجتماعي، ويبدأ من فرضية مركزية: العنف الخاص لا يبقى خاصا، بل ينتقل إلى المجال العام عندما تغيب آليات التوجيه والضبط والرعاية النفسية.

المطلب الاول: تفسير انتقال العنف من الخاص إلى العام

تجمع الأدبيات السوسيولوجية أن الأسرة تمثل "المعمل الأول للعنف"، وأن انتقاله إلى المجال العام يحدث عبر ثلاث آليات رئيسية[1]:

أ. التطبيع الاجتماعي للعنف: يرى الطفل العنف يوميًا داخل المنزل فيصبح "عاديا" ضمن تمثلاته، فلا تنظر القوة كاعتداء، بل كوسيلة شرعية لحل النزاع.

ب. فقدان نموذج الضبط العاطفي: الأطفال الذين لا يتلقون رعاية أو دعما عاطفيا يعجزون عن تنظيم مشاعرهم، فيتحول الغضب إلى عدوان.

ج. الامتداد السلوكي العفوي: عندما يغيب العقاب المنزلي أو التدخل النفسي، ينتشر السلوك العنيف في: المدرسة، الحي، العلاقات اليومية

حالة اجتماعية رقم15(ز.أ): طفل يتعرض لضرب مستمر من الأب، يبدأ في ضرب إخوته الأصغر، ثم ينقل السلوك إلى المدرسة، ثم إلى الشارع مع أصدقاء الحي، في سن 16، يظهر سلوكا عدوانيا متكررا تجاه الممتلكات العامة.

[1] Gelles, Richard J. Intimate Violence in Families. 3rd edition. Sage Publications, Thousand Oaks, CA, USA, 1997, pp 25–66.

المطلب الثاني: نظرية التعلم الاجتماعي: كيف يتحوّل الطفل إلى فاعل للعنف؟

تعد نظرية **التعلم الاجتماعي** لألبرت باندورا (Bandura, 1977) إحدى أهم النظريات في تفسير انتقال العنف.

تنص النظرية على أن الفرد يتعلم السلوك عبر الملاحظة، التقليد، والتعزيز.

آليات التعلم داخل الأسرة العنيفة:

أ. **الملاحظة(Observation)**: يشاهد الطفل أحد الوالدين يمارس العنف← يتعلم أن العنف فعال.

ب. **التقليد(Imitation)**: يعيد الطفل إنتاج ما شاهده، أولًا مع إخوته، ثم مع الآخرين.

ج. **التعزيز(Reinforcement)**: ينجح العنف في تحقيق السيطرة أو الحصول على مكاسب ←يصبح سلوكا دائما.

حالة اجتماعية رقم16(م.م): مراهق يرى الأب يسيطر على الأم بالعنف، فيستخدم الأسلوب نفسه في فرض رأيه داخل جماعة الأقران، يصبح "القائد" بعد أن يهاب الآخرون غضبه، ما يعزز السلوك لديه.

المطلب الثالث: تأثير البيئة الحضرية الهشّة

تظهر الأدبيات (دراسة سامبسون ولاوب) أن الأحياء الحديثة الهشة تشكل بيئة مثالية لانتقال العنف، لأنها تعاني من[1]: ضعف الرقابة الاجتماعية اللصيقة، انعدام التضامن التقليدي، محدودية الشرطة المحلية، كثافة سكانية عالية، بطالة وتهميش اقتصادي، مساحات عامة غير مراقبة، احتكاك يومي بظواهر الانحراف.

كيف تسهم البيئة الحضرية في توجيه السلوك العنيف؟

أ. **الضغط اليومي(Daily Stressors)**: الصراخ، الازدحام، الشجار بين الجيران، كلها تغذي الانفعال.

ب. **سهولة الاحتكاك**: كثافة السكان تُضاعف فرص النزاعات اللفظية أو الجسدية.

ج. **غياب الفضاءات التربوية**: غياب: النوادي، الجمعيات، مراكز الشباب← وقت الفراغ يتحول إلى سلوك منحرف.

حالة اجتماعية رقم17(د.ع) شاب يعيش في عمارة مكتظة، يسمع شجارات يومية، يبدأ بتبني "لغة الشارع": الرد بالصراخ، ثم التهديد، ثم الضرب. يعرف في الحي بأنه "مشاغب"، رغم أنه ضحية بيئة مضغوطة.

[1] Sampson, Robert J. and John H. Laub. op. cit, pp 63–68.

المطلب الرابع: الأحياء الفقيرة كمجال لإعادة إنتاج العنف

الأحياء ذات الفقر المدقع ليست مجرد فضاء جغرافي، بل هي "بنية منتجة للعنف" تتميّز بـ: غياب الدولة، محدودية الخدمات الصحية والنفسية، شبكات غير رسمية تحل محل مؤسسات الضبط، انتشار السلوكيات العدوانية كآلية بقاء[1].

منظور الأنثروبولوجيا الحضرية(Urban Anthropology)

تفسر الأحياء الفقيرة كـ"عالم اجتماعي خاص" حيث:

أ. العنف يصبح لغة تفاوض: يستخدم لحل النزاعات وتأكيد المكانة.

ب. العدوانية تتحول إلى مهارة بقاء: ينظر للفرد الهادئ على أنه ضعيف.

ج. الجماعات الشبكية (Peer networks): توفر دعما اجتماعيا للشباب المهمَّش، لكنها تعيد إنتاج العنف.

حالة اجتماعية رقم18(ش.ب): مراهق من أسرة مضطربة يلتحق بجماعة شبابية في حي فقير، تصبح العدوانية معيار الانتماء. مع الوقت، يتحول العنف من رد فعل إلى أسلوب حياة.

المطلب الخامس: دراسة حالات اجتماعية مركّبة (دون ربط بمنطقة معيّنة)

فيما يلي **حالات تركيبية** مستمدة من الواقع الاجتماعي الجزائري، تظهر التفاعل بين الأسرة، الحي، الصحّة النفسية، وتعلّم العنف:

حالة اجتماعية رقم19(ز.ش): العنف الأسري مع الإهمال المدرسي في حي مهمّش

طفل في 12 سنة يتعرض لاعتداء منزلي متكرر.

لا يتلقى دعما في المدرسة التي تعتبره "مشاغبا".

بعد أشهر، يبدأ بضرب زملائه، ثم بالسرقة الصغيرة في الحي.

تفسير سوسيولوجي: النظام الاجتماعي المحيط لم يوفر أي "محطات إصلاح"، فاستمر مسار العنف.

حالة اجتماعية رقم20(ل.س): العنف الطقوسي والخوف في حي يشيع فيه السحر

أسرة تمارس الشعوذة داخل المنزل.

الطفل يكبر مرتبطا بالخوف من الطقوس والضرب المرتبط بها.

يتحول الخوف لاحقا إلى عنف مفرط تجاه الآخرين.

[1] Wacquant, L. **Urban Outcasts**: A Comparative Sociology of Advanced Marginality. Cambridge, UK: Polity Press, 2008 , pp. 33–40.

تفسير أنثروبولوجي: السلطة الطقوسية والعنف تمنح "شرعية" داخلية للعنف.

حالة اجتماعية رقم21(ق.ش): صدمات الطفولة مع غياب العلاج وشبكات اليافعين

شاب نشأ على صراعات زوجية عنيفة.

في المراهقة، وجد "هوية" داخل مجموعة شديدة العدوانية.

بعد سنوات، أصبح فاعلا للعنف في الحي.

تفسير نفسي–اجتماعي: اضطراب التعلق ونقص الدعم يؤدي إلى سلوك إجرامي محتمل.

يظهر التحليل السوسيولوجي أن العنف الأسري لا يظل محصورا داخل المنزل، فعبر آليات التعلم الاجتماعي، وضغوط البيئة الحضرية الهشّة، والأحياء الفقيرة الحاضنة للانحراف، يتخذ العنف مسارا تصاعديا لينتقل من الخاص إلى العام.

الحالات الاجتماعية التي تم عرضها تبرهن أن العنف ليس قرارا فرديا، بل نتيجة شبكة من العوامل البنيوية التي تتفاعل لتنتج السلوك الإجرامي في المجتمع الجزائري.

المبحث الخامس: الصحة النفسية وتأثير الهشاشة الاجتماعية(مقاربة سوسيولوجية–صحية لفهم الاضطرابات الناتجة عن العنف في المجتمع الجزائري)

تعدّ الصحة النفسية أحد المؤشرات الأساسية على جودة الحياة داخل المجتمع، كما أنها عنصر محوري في تفسير السلوك الاجتماعي، خاصة في البيئات التي تشهد درجات عالية من العنف الأسري والهشاشة الاجتماعية.

ويهدف هذا الجزء الخامس إلى تحليل كيف تؤثر البنى الاجتماعية المتصدّعة في الصحة النفسية، وكيف تساهم الاضطرابات النفسية الناتجة عن العنف الأسري في تعزيز السلوكيات الإجرامية أو العدوانية، في غياب إطار مؤسساتي قادر على التدخل والعلاج.

المطلب الأول: مفهوم الصحة النفسية في السياقات الهشّة

تعرّف منظمة الصحة العالمية الصحة النفسية بأنها حالة من الرفاه النفسي تمكن الأفراد من التعامل مع ضغوط الحياة، وإعمال قدراتهم، والتعلم والعمل على نحو جيد، والإسهام في مجتمعاتهم المحلية. وهي تنطوي بحكم طبيعتها على قيمة أساسية، وتعد حقا أساسيا من حقوق الإنسان[1].

غير أن هذا المفهوم يفقد معناه في البيئات التي تشهد: فقرا شديدا، بطالة، عنفا أسريا متكررا، غياب خدمات الصحة النفسية، انهيار شبكات الدعم الاجتماعي.

[1] World Health Organization, Mental Health: **Strengthening Our Response**, op. cit, p 4.

في هذه الظروف تصبح الصحة النفسية " ترفا اجتماعيا"، بينما تتحول الاضطرابات النفسية إلى جزء من الحياة اليومية.

المطلب الثاني: اضطرابات القلق والصدمة كنتاج للعنف الأسري

تشير الأدبيات النفسية إلى أن الأطفال الذين يتعرضون للعنف الأسري هم الأكثر عرضة للإصابة باضطرابات القلق، وخصوصا اضطراب ما بعد الصدمة[1].

ويحدث ذلك نتيجة:

أ. التعرّض المستمر للتهديد: الطفل يسمع الصراخ، يرى العنف، يعيش الخوف يوميا يؤدي إلى أن الجهاز العصبي في "حالة طوارئ دائمة".

ب. فقدان الإحساس بالأمان داخل الأسرة: المنزل يفترض أن يكون" المكان الأكثر أمانًا"، وحين ينهار هذا الافتراض، تنقلب المنظومة النفسية.

ج. تراكم الصدمات المبكرة: كل تجربة عنف تترك "أثرا عصبيا" يتراكم لينتج اضطرابات لاحقة.

حالة اجتماعية رقم22(ص.س): طفل في 11 سنة يخاف من النوم منفردا، يعاني من كوابيس دائمة، ويبكي عند حدوث أي صوت مرتفع في البيت أو الشارع أو المدرسة، كل ذلك نتيجة تعرضه لعنف جسدي شديد من الأب.

المطلب الثالث: الاكتئاب وفقدان المعنى لدى ضحايا العنف

تشير دراسات Beck (2011) إلى أن العنف الأسري يمكن أن يكون محفزا رئيسيا للاكتئاب، خاصة لدى الأطفال والمراهقين[2].

وينتج عنه أعراض مكتسبة نتيجة العنف: شعور بالدونية، فقدان الاهتمام، نظرة سوداوية للمستقبل، انسحاب اجتماعي، أفكار عدوانية تجاه الذات أو الآخرين.

حالة اجتماعية رقم23(ح.ع): مراهق في 16 سنة يعيش اكتئابا حادا بعد سنوات من الإيذاء الأسري، يفشل في الدراسة، ينسحب من الأصدقاء، ويقضي أغلب الوقت في الشارع حيث يجد نفسه ضمن مجموعة من المنحرفين.

[1] American Psychiatric Association. **Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders**. 5th edition, text revision. American Psychiatric Publishing, Washington, DC, USA, 2022, pp 34–36.

[2] Beck, A. T. **Cognitive therapy of depression** , (2nd ed.). New York, NY, USA: Guilford Press, 2011, pp 45–52

المطلب الرابع: تدهور خدمات الصحة النفسية وتأثيره على الضحايا

يعد ضعف خدمات الصحة النفسية في الجزائر أحد الأسباب البنيوية لاستمرار الاضطرابات دون علاج.

تشير الأدبيات الصحية إلى:نقص الأخصائيين، قلة العيادات النفسية المتاحة، ارتفاع الوصم الاجتماعي ضد العلاج النفسي، غياب برامج الوقاية داخل المدارس، تهميش الصحة النفسية مقارنة بالصحة الجسدية، في ظل هذه العوامل يصبح الطفل الذي يعاني من اضطرابات نفسية غير مرئي بالنسبة للدولة والمجتمع.

حالة اجتماعية رقم24(ع. ز): طفلة تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة بعد مشاهدة والدها يعتدي على أمها، عند زيارة العيادة يُطلب من الأسرة "الصبر" دون متابعة، في سن 14 تظهر عليها نوبات غضب عدوانية وسلوكيات خطيرة.

المطلب الخامس: البيئة الهشّة وتأثيرها على تطور الاضطرابات النفسية

تؤكد الأدبيات أن العنف الأسري لا يتحول إلى جريمة إلا عندما يُعاد إنتاجه داخل بيئة اجتماعية تسمح بذلك.

وتشير بحوث Sampson (2012) و Wacquant (2008) إلى أنّ: الأحياء الفقيرة، ضعف الدولة، غياب المساحات الآمنة، وجود مجموعات شبابية منحرفة، انعدام التوجيه كلها عوامل تجعل الاضطرابات النفسية تتحول إلى عنف خارجي.

وبالتالي تأثير البيئة يكون كالتالي:

أ. **التفاعل مع نماذج عدوانية:** يتعلم الطفل أن العدوانية تمنح "مكانة" داخل المجموعة.

ب. **غياب الدعم النفسي:** يبقى الألم الداخلي دون معالجة فيتحول إلى عنف.

ج. **ضغط الحياة اليومية:** الفقر، البطالة، انعدام الرعاية، تولد الإحباط.

حالة اجتماعية رقم25(ش.م): شاب يعاني من اضطراب قلق حاد يعيش في حي مكتظ، ينضم إلى مجموعة منحرفة ليتجنب الوحدة، يتورط لاحقا في سلوكيات عنيفة في الشارع.

يظهر التحليل أن الاضطرابات النفسية الناتجة عن العنف الأسري ليست مجرد نتائج نفسية داخلية، بل هي عوامل بنيوية يمكن أن تتحول إلى سلوكيات إجرامية في البيئات الهشّة.

وبالتالي فإن الصحة النفسية ليست مسألة فردية، بل هي جزء من البناء الاجتماعي العام وتتأثر مباشرة ب: العنف، الفقر، التحضر الفوضوي، وضعف الضبط الاجتماعي.

إن غياب العلاج والتدخل المبكر يسمح لاضطرابات الطفولة بالنمو حتى تصبح جزءا من "الهوية السلوكية" للفرد، وهو ما يجعل العنف ينتقل من الأسرة إلى المجتمع.

المبحث السادس: عرض وتحليل دراسة الحالة

اعتمدت هذه الدراسة على تحليل نوعي لعدد من الحالات المركّبة التي بلغ عددها أربع عشرة حالة، تم توثيقها في سياقات اجتماعية حضرية هشّة، بهدف استكشاف الكيفية التي يتفاعل بها العنف الأسري مع المحددات الاجتماعية والنفسية في إنتاج مسارات انحرافية قد تتطور إلى سلوك إجرامي. ولغرض التوضيح التحليلي، تم اختيار ثلاث حالات نموذجية تعكس هذا المسار التصاعدي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحالات الثلاث ليست سردا وصفيا منعزلا، بل هي نماذج تركيبية مستخلصة تحليليا من تقاطع بيانات الأدوات المعتمدة في هذا البحث، والمتمثلة في: المقابلات شبه الموجهة، والملاحظة الإثنوغرافية المباشرة، وتحليل السجلات الاجتماعية والنفسية الموثقة، وقد تم بناؤها منهجيا وفق مبدأ التثليث المصادر (Data Triangulation) لضمان دقة الرصد النوعي، مما يعزّز مصداقية الاستنتاجات ويؤكد أن المسار الانتقالي من العنف المنزلي إلى السلوك الإجرامي قائم على رصد ميداني متعدد الأبعاد وليس افتراضا نظريا.

تكشف الحالة الأولى (ن.س) عن نمط من التنشئة القائمة على العنف الجسدي واللفظي المبرر تربويًا، حيث أدى التعرض المتكرر للعنف داخل الأسرة إلى تشكّل تمثلات مشوّهة للقوة، قائمة على الهيمنة والقهر. وقد انعكس ذلك في سلوك عدواني داخل المدرسة، سرعان ما تطور إلى انخراط في جماعات شبابية عنيفة داخل الحي، لينتقل تدريجيًا من الانحراف المدرسي إلى ممارسات شبه إجرامية، يمكن تفسير هذا المسار في ضوء نظرية التعلم الاجتماعي لدىAlbert Bandura ، التي ترى أن العنف يُكتسب من خلال الملاحظة والتقليد داخل البيئة القريبة.

أما الحالة الثانية (هـ.م)، فتبرز شكلا مركّبا من العنف الرمزي والطقوسي داخل الأسرة، حيث ارتبطت ممارسات الشعوذة بالتهديد والسيطرة، مما أدى إلى توليد حالة من الخوف المزمن والاضطراب النفسي. وقد تحوّل هذا الخوف إلى عدوانية دفاعية مفرطة، تجسدت في انخراط الفرد في نزاعات عنيفة خارج الإطار الأسري، تعكس هذه الحالة كيف يمكن للعنف الرمزي أن ينتج آثارا نفسية عميقة لا تقل خطورة عن العنف الجسدي، خاصة عندما يمارس في سياق مغلق يفتقر إلى الدعم النفسي.

في حين تكشف الحالة الثالثة (ش.ب) عن أثر التفكك الأسري والتهميش الحضري، حيث نشأ الفرد في بيئة تفتقر إلى الضبط الاجتماعي والموارد الاقتصادية، مما أدى إلى عزلة نفسية وشعور بفقدان المعنى. وفي ظل غياب بدائل اجتماعية إيجابية، وجد هذا الفرد في الجماعات المنحرفة مصدرًا للانتماء والهوية، ليتطور سلوكه تدريجيًا من انحراف بسيط إلى ممارسات إجرامية منظمة. ويمكن فهم هذا المسار في ضوء مقاربات الهامشية الحضرية التي طوّرهاLoïc Wacquant ، والتي تؤكد أن الأحياء الهشّة تشكّل بيئة حاضنة لإعادة إنتاج العنف والجريمة.

بوجه عام تكشف هذه الحالات أن العنف الأسري لا يظل محصورا في المجال الخاص، بل يتفاعل مع بيئة اجتماعية هشّة تفتقر إلى آليات الضبط والدعم، مما يحوّل الاضطرابات النفسية الداخلية إلى سلوكيات خارجية منحرفة، قد تتطور تدريجيًا إلى أفعال إجرامية.

المبحث السابع: عرض النتائج ومناقشتها

أظهرت نتائج الدراسة أن العنف الأسري لا يختزل في كونه حدثا عابرا، بل يمثل بنية اجتماعية مولّدة تعاد إنتاجها داخل الأسر الهشّة من خلال شرعنة ثقافية لممارسات القهر والعقاب، هذا النمط من التنشئة يسهم في تشكيل تمثلات سلبية للقوة، تقوم على العنف كوسيلة للضبط والسيطرة، مما يهيّئ الأفراد لتبني سلوكيات منحرفة في مراحل لاحقة.

كما بيّنت النتائج أن الصحة النفسية تمثل حلقة وصل مركزية في هذا المسار، حيث تؤدي الصدمات المبكرة وغياب الدعم العاطفي إلى اضطرابات نفسية، مثل القلق والاكتئاب وضعف التنظيم الانفعالي، وهو ما يجعل الأفراد أكثر قابلية للانخراط في سلوكيات انحرافية كآليات تكيف غير سوية، وتتقاطع هذه النتيجة مع أطروحات علم النفس الاجتماعي التي تؤكد العلاقة بين الصدمات النفسية المبكرة والانحراف السلوكي.

من جهة أخرى، أكدت الدراسة أن البيئة الحضرية الهشّة تعمل كمسرح تصاعدي لهذا التحول، حيث تسهم البطالة، وغياب الفضاءات التربوية، وضعف شبكات التضامن الاجتماعي، في تحويل الانحراف الفردي إلى سلوك جماعي، ثم إلى فعل إجرامي. ويتماشى ذلك مع تحليلات Loïc Wacquant حول الهامشية الحضرية المتقدمة، التي تبرز دور التهميش البنيوي في إنتاج الجريمة.

كما كشفت النتائج عن فشل واضح في آليات التدخل المبكر، سواء على مستوى المدرسة أو المؤسسات الصحية، حيث أدى غياب المتابعة النفسية، وندرة الخدمات المتخصصة، واستمرار الوصم الاجتماعي المرتبط بالاضطرابات النفسية، إلى تراكم الأزمات وتحولها إلى سلوكيات خطرة.

وتؤكد هذه النتائج مجتمعة أن الانتقال من السلوك المنحرف إلى السلوك الإجرامي ليس انتقالا فجائيا، بل هو مسار تدريجي يتشكل عبر تفاعل معقد بين العنف الأسري، الاضطرابات النفسية، والهشاشة الاجتماعية.

الخاتمة:

تظهر هذه الدراسة أن العنف الأسري في المجتمع الجزائري لا يمكن فهمه باعتباره ظاهرة فردية معزولة، بل هو جزء من بنية اجتماعية مركّبة تتداخل فيها العوامل الثقافية والاقتصادية والحضرية. وقد بينت النتائج أن هذا العنف، عندما يقترن بالهشاشة الاجتماعية وغياب الدعم النفسي والمؤسسي، يتحول إلى عامل مولّد لمسارات انحرافية قد تنتهي إلى الجريمة.

كما أبرزت الدراسة أن الصحة النفسية تمثل آلية وسيطة حاسمة في هذا التحول، حيث يتحول الألم النفسي الناتج عن العنف إلى سلوك خارجي عنيف، خاصة في ظل غياب قنوات التفريغ والدعم. وعليه، فإن فهم الجريمة يقتضي تجاوز المقاربات الفردانية، والانتقال نحو تحليل بنيوي يأخذ بعين الاعتبار التفاعل بين الأسرة، والحيّ، والمؤسسات.

إن استمرار هذه الظاهرة يعكس خللا في منظومات الضبط الاجتماعي والحماية، ويستدعي تدخلا شاملا يعالج جذور المشكلة، بدل الاكتفاء بمعالجة نتائجها.

❖ **التوصيات:**

انطلاقا من النتائج المتوصل إليها، توصي الدراسة بضرورة تبني مقاربة متعددة المستويات، فعلى مستوى الأسرة، ينبغي تعزيز برامج التوعية التي تستهدف تفكيك المبررات الثقافية للعنف، وترسيخ أساليب التربية الإيجابية القائمة على الحوار، أما على مستوى المدرسة، فيوصى بإدماج خدمات الدعم النفسي–الاجتماعي، وتكوين الأطر التربوية على رصد المؤشرات المبكرة للعنف والاضطرابات النفسية.

وعلى مستوى المجتمع المحلي، تبرز الحاجة إلى إنشاء فضاءات شبابية ومراكز اجتماعية تعزز الاندماج وتحد من الانجراف نحو الجماعات المنحرفة، في حين يتطلب الأمر على مستوى السياسات

العمومية تعميم خدمات الصحة النفسية، وتسهيل الوصول إليها، ومحاربة الوصم الاجتماعي المرتبط بها، إضافة إلى إدماج برامج الكشف المبكر ضمن منظومات الحماية الاجتماعية.

أما على المستوى البحثي، فتوصي الدراسة بإجراء بحوث طولية تتبع مسارات الأفراد المعرّضين للعنف عبر الزمن، بهدف فهم أعمق لآليات التحول، وتقييم فعالية التدخلات المختلفة في كسر حلقة العنف والجريمة.

✍قائمة المصادر والمراجع:

الأول: الكتب:

- عدي الهواري، **تحولات المجتمع الجزائري: العائلة والرابط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة**، ترجمة ميلود طواهري، منشورات لاديكوفرت، باريس، 2002.

الثاني: المجلات:

- غزوان، أنس عباس، **العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة**. مجلة جامعة بابل – العلوم الانسانية، مج23، ع4، بابل، 2015.
- دريدش، حلمي، **دراسة سوسيولوجية لبنية المجتمع الجزائري وأثرها على انتشار العنف**، مجلة حوليات جامعة الجزائر، المجلد 32, العدد 4، 2018.
- أحمد فريجة، ابراهيم هياق، **النظريات المفسرة للسلوك الإنحرافي والإجرامي – رؤية اجتماعية**، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، المجلد 12، العدد 2، 2019،

Foreign Sources:

First: Books

- Straus, Murray A., and Richard J. Gelles. Physical Violence in American Families: Risk Factors and Adaptations to Violence in 8,145 Families. Routledge, Taylor & Francis Group, London and New York, 1990.
- Bourdieu, Pierre. Language and Symbolic Power. Harvard University Press, Cambridge, MA, 1991.
- Castel, Robert. From Manual Workers to Wage Laborers: Transformation of the Social Question. Transaction Publishers, New Brunswick, NJ, 2003.
- Durkheim, Émile. Suicide: A Study in Sociology. Routledge & Kegan Paul Ltd, London and New York, 1952.
- Bandura, Albert. Social Learning Theory. Prentice Hall, Englewood Cliffs, N.J., 1977.
- Lévi-Strauss, Claude. Structural Anthropology. Basic Books, New York, 1963.
- van der Kolk, Bessel A. The Body Keeps the Score: Brain, Mind, and Body in the Healing of Trauma. Viking, New York, 2014.

- Sampson, Robert J., and John H. Laub. Crime in the Making: Pathways and Turning Points Through Life. Harvard University Press, Cambridge, MA, 1993.
- Gelles, Richard J. Intimate Violence in Families. Sage Publications, Thousand Oaks, CA, USA, 1997.
- Wacquant, Loïc. Urban Outcasts: A Comparative Sociology of Advanced Marginality. Polity Press, Cambridge, UK, 2008.
- American Psychiatric Association. Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders. 5th edition, text revision. American Psychiatric Publishing, Washington, DC, USA, 2022.
- Beck, Aaron T. Cognitive Therapy of Depression. 2nd edition. Guilford Press, New York, NY, USA, 2011.

Second: Articles

- Merton, Robert K. "Social Structure and Anomie." American Sociological Review, Vol. 3, No. 5. American Sociological Association, Washington, DC, USA, October 1938.
- Compas, Bruce E., et al. "Coping, Emotion Regulation, and Psychopathology in Childhood and Adolescence: A Meta-Analysis and Narrative Review." Annual Review of Clinical Psychology, Vol. 13. Annual Reviews, Palo Alto, CA, 2017.
- Moffitt, Terrie E. "Adolescence-Limited and Life-Course-Persistent Antisocial Behavior: A Developmental Taxonomy." Developmental Psychology, Vol. 29, No. 4. American Psychological Association, Washington, DC, 1993.